الفصل السادس

التوجيه والإرشاد الطلابى

فى ضوء الفكر التربوى الإسلامى

مقدمة.

- المقصود بالتوجيه والإرشاد الطلابى.
- أسس التوجيه والإرشاد الطلابى فى ضوء الفكر التربوى الإسلامى.
- مجالات التوجيه والإرشاد الطلابى فى ضوء الفكر التربوى الإسلامى:
  - التوجيه التربوى.
  - التوجيه المهنى.
  - التوجيه الاجتماعى.
  - التوجيه الأخلاقى.
  - التوجيه الصحى.
  - التوجيه والإرشاد النفسى.
- توصيات بشأن توجيه وإرشاد الطلاب فى ضوء الفكر التربوى الإسلامى.

التوجيه والإرشاد الطلابى فى ضوء الفكر التربوى الإسلامى

مقدمة:

يمتاز عالمنا المعاصر بتغير مستمر وتطور سريع، نتيجة للانفجار العلمى، الذى يغطى كافة التخصصات، ومايلاحقه من انفجار تكنولوجى يشمل مختلف المجالات.

وتسعى الدول، المتقدمة منها والنامية، نتيجة لهذا التغير والتطور، إلى إسعاد شعوبها ورفاهيتها ماديا ومعنويًا؛ حيث بناء المدارس والجامعات والمصانع والمستشفيات، وغير ذلك من إنشاءات وخدمات، وهذا أمر يسهل تحقيقه، وحيث بناء الأفراد وتوجيههم وترشيد جهودهم واستثمار أوقاتهم وطاقاتهم، وذلك من أصعب الأمور.

وتكمن الصعوبة فيما يتطلبه بناء الأفراد وتوجيههم من عمليات مستمرة من الجهد والوقت، والدراسة والفهم، والعون والمساعدة، بالكشف عن حاجات الفرد وقدراته واستعداداته وميوله واتجاهاته، وبالتعرف المبكر على ظروفه ومشكلاته، ومن ثم مساعدته على إيجاد الحلول المناسبة لها، ومساعدته فى توجيه نفسه والتصرف فى حياته ومستقبله بحكمة وبصيرة، مستغلاً كل إمكاناته الشخصية والبيئية، ليصبح فردا منتجًا ومؤثرًا فى تنمية نفسه وأسرته ومجتمعه.

وعلى التربية (التى تعد ذلك الفرد) أن تستمد وضع أهدافها وغاياتها، وتحديد مسالكها ووسائلها، من صميم عقيدة الفرد ومن وحى إيمانه؛ إذ لا يجب أن يكون هناك تعارض وتناقض على أقل تقدير.

وإذا كنا بصدد إعداد الفرد المسلم، وفى إطار المجتمع المسلم، وليعيش فى عالمه المعاصر، فعلينا أن نربيه تربية مستمدة من تراثنا الإسلامى، مع عدم التجاهل للتربية المعاصرة، نربيه تربية تستند إلى الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح والتابعين لهم بإحسان لترتوى من تراثنا الفكرى الإسلامى المتراكم خلال الأربعة عشر قرنًا الماضية، وتستفيد فى الوقت ذاته مما توصلت إليه الدراسات والأبحاث العلمية الحديثة فى مجال التربية.

ومن المعروف والثابت تاريخيًا، وبإجماع من مؤرخى الحضارات، أن الحضارة الإسلامية مرحلة تطور هامة فى تاريخ البشرية. ففى الوقت الذى «كانت تعيش فيه أوربا فى حالة من الجهل والتخلف والضياع والتمزق، كانت البلاد الإسلامية تمثل المشعل الفكرى الوضاء الذى ينشر النور فيما حوله ويملأ الدنيا علمًا ومعرفة. ولما أرادت أوربا أن ترفع عن كاهلها عبء ذلك الوضع المهين، التفتت إلى الحضارة الإسلامية، تنهل من رحيق المعرفة والفكر ما أمكنها ذلك»[1]. تلك الحضارة الإسلامية التى قادت العالم إلى طريق العلم والمعرفة والرقى والازدهار، بما قدمته لهم من علوم وفنون شتى، بل وبما قدمته لهم من ترجمة عملية لكل علم وفن.

وإذا كان المسلمون ولاسيما صانعو الحضارة منهم قد خلَّفوا لنا تراثًا تربويًا شامخًا، ينبغى أن نفاخر به ونعتز، لأنه يعكس صورة الماضى وبالتالى فهو يضىء لنا طريق الحاضر والمستقبل، إلا أننا «لا نعرف عنه نحن اليوم الكثير، عن جهل حينًا، وعن تقليد لرجال التربية فى الغرب حينًا آخر، وعن قصد وسوء نية للنيل من الإسلام أحيانًا، جريًا وراء التيارات الغريبة عنا، والحاقدة علينا»[2].

والتراث الفكرى التربوى الإسلامى هو تراث له قيمته العلمية والدينية، «نجده فى القرآن الكريم، وفى الحديث الشريف، وبعد ذلك نجده فى فقة الفقهاء، وأدب الأدباء، وفكر المفكرين، وفلسفة الفلاسفة، ثم فى الفكر التربوى المستقل لفلاسفة التربية المسلمين»[3].

ومن ثم لكى نوجه طلاب العلم فى معاهدنا العلمية ونرشدهم لما يعود عليهم وعلى مجتمعاتهم بالخير والازدهار، نوجههم فى ضوء الكتاب والسنة وكذا التراث الإسلامى لسلفنا الصالح وللتابعين لهم بإحسان.

إذ فى كلام الحق تبارك وتعاى أفضل توجيه وأصوب إرشاد؛ لأنه عندما «يخاطب النفس الانسانية»، فإنما يخاطبها «مخاطبة العليم بأسرارها، الخبير بما يفسدها أو يزكيها، المطلع على مواطن القوة والضعف فيها»[٤]، مصداقا لقوله تعالى: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]. وفى سنة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه إيضاح للمنهج التربوى المتكامل فى القرآن الكريم، وتفصيل لما جاء مجملاً فيه. كما أن ما تركه لنا سلفنا الصالح من تراث له قيمته، لم يخرج عن نطاق المصدرين الأساسيين لتربيتنا الإسلامية (الكتاب ـ والسنة) وكان على ضوئهما.

ونحن عندما نأخذ من هذا التراث الفكرى التربوى الإسلامى (بمصادره المتعددة)، فإنما نأخذ منه ما يتناسب مع ظروفنا المعاصرة، كما يمكننا أن نستفيد من الفكر التربوى المعاصر، على أن تكون هذه الاستفادة مرهونة بمدى موافقة هذا الفكر المعاصر لثقافتنا وتقاليدنا وأصولنا الإسلامية.

المقصود بالتوجيه والإرشاد الطلابى:

التوجيه:

يعرف التوجيه بأنه: «مجموع الخدمات التى تهدف مساعدة الفرد على أن يفهم نفسه ويفهم مشاكله، وأن يستغل إمكاناته الذاتية، من قدرات ومهارات واستعدادات وميول، وأن يستغل إمكانات بيئته. فيحدد أهدافًا تتفق وإمكاناته من ناحية، وإمكانات هذه البيئة من ناحية أخرى ـ نتيجة لفهمه لنفسه وبيئته ـ ويختار الطرق المحققه لها بحكمة وتعقل. فيتمكن بذلك من حل مشاكله حلولاً عملية تؤدى إلى تكيفه مع نفسه ومجتمعه، فيبلغ أقصى مايمكن أن يبلغه من النمو المتكامل فى شخصينه»[٥].

كما يعرف بأنه: «عملية مساعدة أو تقديم العون للأفراد حتى يتمكنوا من تحقيق الفهم اللازم لأنفسهم وتوجيهها بحيث يستطيعون الاختيار وعن بيّنة لأهداف محددة، ويتخذون من السلوك ما يسمح لهم بالتحرك فى اتجاه هذه الأهداف، التى اختاروها بطريقة ذكية أو تسمح بتقويم المسار بشكل تلقائى»[٦].

الإرشـــاد:

يعرف الإرشاد بأنه: «محاولة فرد مساعدة آخر على فهم مشكلات تكيفه وحلها»[٧]. وأيضًا يعرف بأنه: «عملية مساعدة الفرد ليستخدم إمكاناته وقدراته استخدامًا سليمًا للتكيف مع الحياة»[٨].

التوجيه والإرشاد الطلابى:

لا يخرج مفهوم التوجيه والإرشاد الطلابى عن مفهوم التوجيه والإرشاد عمومًا؛ إذ هو حالة خاصة منها، تطبق على الطالب المتعلم. ومن ثم يمكن القول بأن التوجيه والإرشاد الطلابى: «هو عملية مساعدة للطالب لتعرف قدراته وإمكاناته (الذاتية والبيئية)، ومن ثم استخدامها الاستخدام الأمثل، بما يساعده على التكيف وتحقيق الخير له ولمجتمعه».

وهكذا، وفى ضوء التعاريف السابقة لكل من التوجيه، والإرشاد، ومن ثم التوجيه والإرشاد الطلابى، يمكن القول بأن مفهوم التوجيه والإرشاد الطلابى يدور حول عدة مضامين، لعل من أبرزها ما يلى:

(١) أن عملية التوجيه والإرشاد الطلابى تتم بين طرفين [مفيد ـ ومستفيد].

الأول منهما: وهو القائم بعملية التوجيه والإرشاد ـ كطرف مفيد ـ (وهو: الموجه ـ أو المرشد ـ أو المعلم ـ أو الأخصائى الاجتماعى ـ أو الطبيب ـ أو الأب..) أو أكثر من فرد من بين هؤلاء. والطرف الثانى: وهو المتعلم نفسه كطرف مستفيد.

(٢) أن التوجيه والإرشاد الطلابى هو عملية مساعدة للمتعلم، وليس إلغاء لدوره.

(٣) أن التوجيه والإرشاد الطلابى يتم فى أى مرحلة من مراحل التعليم، التى يلتحق بها المتعلم ـ حتى يتحقق له التكيف المستمر.

(٤) أن الفرد المتعلم يؤثر فى البيئة التى يعيش فيها ويتأثر بها.

(٥٥) أن المتعلم بحاجة إلى مساعدة وتنمية شاملة لمختلف جوانب شخصيته: (الجسمية ـ والعقلية ـ والاجتماعية ـ والخلقية ـ والنفسية..).

(٦) أن لكل متعلم قدرة على التكيف، مهما تباينت الفروق الفردية بين المتعلمين.

المقصود بالفكر التربوى الإسلامى:

الفكر: هو ذلك الانعكاس الصادق لحياة (وثقافة) الجماعة الانسانية، والذى يتحدد نوعه بنوع هذه الحياة وبالإطار العقائدى الذى يوجه مسارها[٩].

وهو تلك المؤثرات التى تحكم السلوك وتشكل المبادئ والمثل، وتحدد الأنظمة والأطر اللازمة لبناء حياة اجتماعية أفضل.

والفكر التربوى: هو ذلك الفكر الذى «يعكس الحياة الثقافية فى المجال التعليمى»، والتربوى على وجه العموم.

أما الفكر التربوى الإسلامى، «فهو أداة صنع الحياة، وصياغة الواقع الاجتماعى الذى تستهدفه»[١٠]. تلك الحياة الإسلامية السليمة والواقع الاجتماعى المنشود، كما جاء بالكتاب والسنة، وكما فسره السلف الصالح والتابعين لهم بإحسان.

أسس التوجيه والإرشاد الطلابى فى ضوء الفكر التربوى الإسلامى

للتوجيه والإرشاد الطلابى عديد من الأسس والمبادئ التى يقوم عليها والتى بالاستناد اليها، تقدم خدماته المختلفة. وفيما يلى إيجاز لأهم تلك الأسس على ضوء ما يقول به ويقره فكرنا التربوى الإسلامى:

١) الإيمان بأهمية الفرد (المتعلم) وأحقيته فى التعليم والتربية والتوجيه:

فالفرد المتعلم له كيانه واحترامه، لأنه إنسان، وللإنسان حرمته واحترامه، مصداقًا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠]، فهو مكرّم ومحترم مهما كان جنسه، أو لونه، أو مستواه الاجتماعى والاقتصادى.

ومن ثم فللفرد (وأى فرد) حق التربية والرعاية، والتوجيه والإرشاد، بما يحقق له أفضل نمو ممكن. «فالتوجيه والإرشاد حاجة نفسية هامة لدى الانسان. ومن مطالب النمو السوى إشباع هذه الحاجة».

وعلى هذا يكون التوجيه والإرشاد حقًا من حقوق كل فرد حسب حاجته، ومن واجب الدولة «الراعية لهذا الفرد» توفير وتيسير خدمات التوجيه والإرشاد له، ولكل من يحتاج إليها من رعيتها. فهذه الخدمات حق لمن ينمو فى تطوره العادى، ولمن يمر بمراحل حرجة، ولمن يتعرض لمشكلات شخصية أو تربوية أو مهنية أو زواجية أو أسرية.. إلخ. فمثلاً من حق كل تلميذ أن يتلقى خدمات الإرشاد التربوى والمهنى، ومن حق التلميذ الذى يعانى من مشكلة أن يتلقى خدمات إرشادية خاصة، كذلك من حق التلميذ المتفوق الذى لا يستغل كامل إمكاناته أن يتلقى خدمات إرشادية خاصة»[١١]، تتيح الفرصة أمامه لكى ينمو ويستغل طاقته وإمكاناته المحيطة أمثل استغلال.

وليست الدولة وحدها المسئولة عن توفير وتقديم خدمات التوجيه والإرشاد.. فالآباء والمعلمون وغيرهم مسئولون عن ذلك، لأن الكل راعٍ، والكل مسئول عن رعيته.

٢) الإيمان بشمولية التوجيه والتربية لمختلف جوانب شخصية الفرد المتعلم:

ولنا فى ديننا الإسلامى خير موجه وخير مرشد، بما يفيد الفرد (كل الفرد)، لكى ينمو نموًا شاملاً متكاملاً ومتوازنًا. ففيه التوجيهات اللازمة للنمو الجسمى

السليم، بتوضيحه لطيبات المأكل والمشرب والأمر بإتيانها، وبتوضيحه للخبائث والأمر بتركها. وفيه التوجيهات اللازمة للنمو العقلى السليم والحث على إعمال هذا العقل وتزكيته، وحمايته من كل مسكر ومخدر ومن كل مشوش أو متلف لنظامه، كما أن فيه التوجيهات اللازمة للنمو الاجتماعى السليم، وللنمو الخلقى القويم، وللنمو الانفعالى والنفسى، وغير ذلك من جوانب شخصية الفرد، التى سيشار إليها ضمن الحديث عن مجالات التوجيه والإرشاد.

نعم.. إنها لتوجيهات شاملة من كلام المولى عز وجل، «فيخاطب النفس الإنسانية مخاطبة العليم بأسرارها، الخبير بما يفسدها أو يزكيها، المطلع على مواطن القوة والضعف فيها»(١٢). ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

٣) الإيمان باستمرار خبرة الفرد المتعلم مع استمرار حاجته للتوجيه والإرشاد:

حيث يحتاج الفرد المتعلم إلى خبرات تربوية مستمرة، من بداية حياته حتى نهايتها، وبالإضافة إلى حاجته المستمرة أيضًا للتوجيه والإرشاد، فهو بحاجة إلى توجيه وإرشاد بمرحلة الطفولة، فالمراهقة، ثم الرشد، حتى مرحلة الشيخوخة للتكيف والتواؤم مع تغيراتها المختلفة وهو بحاجة مستمرة إلى توجيه وإرشاد عند انتقاله من حياته المنزلية إلى حياته المدرسية، ومن حياته المدرسية إلى حياته الجامعية، ومن حياته التعليمية إلى حياته العملية، ثم من حياته العملية إلى حياة التقاعد والإحالة.

ونجد فى الفكر التربوى الإسلامى خير موجه ومرشد للاستمرار فى التربية وطلب العلم، «فلاشك أن ماتضمنه القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، من حث المؤمنين على طلب العلم، وارتشاف مناهله، (من المهد إلى اللحد)، كان دافعًا لتعلق المسلمين بالعلم، بحيث عد طلبه والسعى إليه، تقليدًا من تقاليد الإسلام، يتناقله الخلف عن السلف «فالكل يتعلم، ويطلب المزيد من العلم، أيًّا كان مستواه العلمى» فمن كان أميًّا، لا يعرف القراءة والكتابة، كان عليه

أن يتعلمهما، ومن كان على بعض العلم، كان عليه أن يستزيد من علمه، ومن كان على علم كثير، فعليه أن يستزيد أيضًا من علمه»[١٣].

وفى هذا المعنى يقول الماوردى: «إنه ينبغى ألا يكتفى العالم بما تعلم، بل عليه أن يزداد منه، وليكن مستقلاً للفضيلة منه ليزداد منها، ومستكثرًا للنقيصة فيه لينتهى عنها، ولا يقنع من العلم بما أدرك، لأن القناعة فيه زهد، والزهد فيه ترك، والترك فيه جهل»[١٤].

نعم ليستزد كل إنسان من فضيلة العلم، سائلاً أهل العلم والمعرفة إن كان لا يعلم مصداقًا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٤]. وليستمر كل عالم فى السير قدمًا على طريق العلم والبحث العلمى، لأن باب العلم مفتوح، وطريقه ممدود، ومهما بلغ منه مبلغًا وحقق فيه إنجازًا، فليعلم بأن ماحصله من العلم قليل، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [الأسراء: ٨٥].

٤) الإيمان بالفروق الفردية بين المتعلمين عند توجيههم:

حيث يختلف الأفراد فيما بينهم اختلافًا واضحًا، يظهر فى عديد من جوانب الشخصية، الجسمية، والعقلية، والاجتماعية، والانفعالية، والخلقية. و«لكل فرد عالمه الخاص الفريد، وشخصيته الفريدة المميزة عن بقية الأفراد، وله حاجاته وقدراته وميوله»[١٥]. وليست الاختلافات والفروق الفردية تكون بين الأفراد وبعضهم البعض. بل هناك «فروق موجودة فى الفرد نفسه». ومن المهم على المرشد «أن يعرف نواحى القوة ونواحى الضعف فى الفرد نفسه»[١٦].

وحيث إن التوجيه والإرشاد حق لكل فرد، والتوجيه والإرشاد الطلابى حق لكل طالب علم، فإن مسألة الفروق الفردية ومعرفتها أمر فى غاية الأهمية، حتى يمكن تعليم وتوجيه كل متعلم وفقًا لذلك.

ولقد أكد الفكر التربوى الإسلامى ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين

المتعلمين، وتعليم كلّ حسب طاقته وجهده. ففى ذلك يقول الإمام الغزالى: «أن يقتصر (المعلم) بالمتعلم فى قدر فهمه، فلا يلقى إليه مالا يبلغه عقله، فينفرد أو يخبط عليه عقله»[١٧] ككما يقول: «ينبغى ألا يعامل جميع الأطفال معاملة واحدة فى التهذيب، بل يعامل كل منهم وفق طبائعه وميوله»[١٨].

وفى ذلك اقتداء بمعلم البشرية، ﷺ، حيث قال: (نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منزلهم، ونكلمهم على قدر عقولهم»[١٩]. كما أكد المولى عز وجل ذلك بقوله: ﴿ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وبقوله: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٥) للتوجيه والإرشاد دستور أخلاقى يحكم سلوك القائمين به:

يحقق التوجيه والإرشاد الطلابى ـ وغير الطلابى ـ أهدافه، إذا قدمت خدماته وفقًا لأخلاقيات المهنة، وفى إطار الدستور الاخلاقى الذى يحكم هذا العمل.

وقد وضح الفكر التربوى الإسلامى بنود هذا الدستور وحدد ضوابطه. حيث لا تقدّم هذه الخدمات إلا من خلال العلم والدراية، وحيث إتقان العمل والإخلاص فى تقديم النصح والمساعدة، وحيث الحفاظ على سرية المعلومات، وحيث الاستعانة بذوى الاختصاص كلما دعت الحاجة لذلك.. إلخ.

فمن حيث البند الأول لهذا الدستور الأخلاقى، وهو : العلم والدراية، فإنه حتى تكون هناك خدمات توجيهية وإرشادية صائبة، ومساعدات حقيقية، «يجب أن يكون المرشد مؤهلاً ومزودًا بالعلم والمعرفة المتخصصة، والخبرات والمهارات اللازمة لذلك. وأن يكون دائمًا حريصًا على التزود بالمعلومات الأكاديمية وعلى دراية بالدراسات والبحوث فى ميدان التوجيه والإرشاد»[٢٠].

إذ لايتمكن المرشد من مساعدة الآخرين والعمل على منفعتهم بالجهل والعشوائية، وإنما يتمكن من ذلك بالعلم والمعرفة، مصداقًا لقوله ﷺ: (تعلموا تعلموا، فإذا علمتم فاعملوا)[٢١]. بل وينشد المزيد من العلم والدراية حتى تزيد

منفعته، امتثالاً لقوله ﷺ: (اللهم انفعنى بما علمتنى، وعلمنى ما ينفعنى، وزدنى علمًا)[٢٢]. وقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

ثم يأتى بعد بند العلم والدراية والخبرة، بند ثان، وهو إتقان العمل فى التوجيه والإرشاد، والاخلاص فيه؛ إذ يبذل قصارى جهده فى تقديم المساعدة، وفى «استخدام أنسب وأجدى الوسائل والطرق الإرشادية التى تتفق مع حاجات الفرد ومشكلته»[٢٣]. وفى ذلك يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه). ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. ويقول عز وجل: ﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ [الكهف: ٣٠].

ولا يكفى لنجاح العمل الإرشادى، توافر شرطى الاختصاص العلمى والإتقان العملى، إذ لابد ـ كشرط أو كبند ثالث ـ من الحفاظ على سرية المعلومات، التى تعد أمانة يعلقها صاحب المشكلة فى عنق المرشد. ويعد التفريط فيها وإفشاؤها خيانة، بل آية من آيات المنافق، مصداقًا لقوله ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان)[٢٤].

كما تفرض أخلاقيات العمل الإرشادى على المرشد ـ كبند رابع ـ أن يستعين بذوى الاختصاص، كلما دعت الحاجة، أو يحيل إليهم مالا اختصاص له فيه. امتثالاً لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧]، وقوله عز وجل: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الاسراء: ٣٦].

فقد يكون للمشكلة جانب مرضى فيحيل صاحبها إلى الطبيب المختص، أو جانب اجتماعى فيستعين بالأخصائى الاجتماعى، أو جانب قانونى فيحيلها إلى محامٍ، أو غير ذلك من جوانب يحتاج علاجها إلى ذوى الاختصاص.

مجالات التوجيه والإرشاد الطلابى فى ضوء الفكر التربوى الإسلامى

تتعدد مجالات التوجيه والإرشاد الطلابى، التى يقول بها الفكر التربوى الإسلامى ويقرها، بقدر ما يغطى شخصية الفرد المتعلم وجوانب حياته، والتى من أبرزها ما يلى:

١) التوجيه التربوى.
٢) التوجيه المهنى.
٣) التوجيه الاجتماعى.
٤) التوجيه الأخلاقى.
٥) التوجيه الصحى.
٦) التوجيه والإرشاد النفسى.

بيد أن الفكر التربوى الإسلامى حينما يتناول أيًّا من هذه المجالات، فإنه يتناوله ضمن الإطار الشامل لشخصية المتعلم، متكاملاً مع بقية المجالات الأخرى، ليكون إنسانًا سويًا متوازنًا.

أولا: التوجيه التربوى:

وهو «المساعدة لاختيار الأقسام الدراسية، واختيار نوع الدراسة التى تتفق وميول الشخص وقدراته وتحصيله، وكذلك اختيار نوع المدرسة أو الكلية. ويشمل أيضًا التشخيص والتعاون فى علاج المشكلات التربوية، مثل: مشكلات النظام والغياب والتأخر وضعف القراءة والتحصيل وعيوب الكلام وتنظيم خطوات التحصيل الجيد، وغيره من مهارات تتطلبها التربية والتعليم عامة»(٢٥).

ويبدأ التوجيه التربوى منذ اليوم الأول من التحاق المتعلم بالتعليم، ويستمر معه طوال حياته التلعيمية وحتى نهايتها؛ فهو بحاجة إلى تمهيد وحسن استقبال عند التحاقه بالمدرسة، وإلى توجيه لاختيار ما يناسبه من فروع العلم وتخصصاته، واستغلال إمكاناته وطاقاته أمثل استغلال، وإلى ترشيد لوقت

فراغه واستثماره فيما يفيد علميًّا وتربويًّا، وإلى تذليل لما يصادفه من عقبات ومايواجهه من مشكلات تعليمية.

فدخول الطفل المدرسة، وانتقاله من حياة المنزل واللعب والانطلاق، واللامسئولية وتلبية الرغبات، إلى حياة المدرسة بما فيها من التزام وضوابط ونظام، ومسئوليات وزملاء جدد لم يألفهم بعد، كل هذا يجعل الطفل بحاجة إلى توجيه وإرشاد، حتى يتواءم مع الحياة المدرسية الجديدة ولايصدم بها. بحاجة إلى تمهيد لتقبلها والاندماج معها، وإلى المعاملة بعطف وحنان، لابقسوة وعنف. وفى مثل ذلك يقول الحق تبارك وتعالى مخاطبًا رسوله الكريم بشأن الداخلين فى الإسلام: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؛ حتى يطمئنون إليه وإلى دينه الجديد، ويقبلون عليه ويألفونه.

بل ويحتاج هؤلاء المتعلمون (الجدد) إلى ما يرغبهم فى الحياة المدرسية ويحببهم فى الدراسة والتعليم، من تشجيع أو جوائز ومكافآت؛ تأسيًّا بما فعله المصطفى ﷺ مع المؤلفة قلوبهم، فأعطى المال لمن وجد عنده حبًا للمال، وأنزل المكانة لمن هو ذوى مكانة فى قومهم. كل ذلك، ليقبلوا على الإسلام، ويتخلقوا بأخلاقه، ويتربوا بتربيته.

ويحتاج المتعلم إلى توجيه تربوى شامل (تعليمى وغير تعليمى). وفى ذلك يقول الامام الغزالى، ضمن ما حدده من مسئوليات تربوية على المعلم: «ألا يدع من نصح المتعلم شيئًا»(٢٦). فيرشده إلى متابعة دروسه أولاً بأول، وإلى استثمار وقت فراغه فى الدراسة والاطلاع وفيما يفيده علميًا وتربويًا.

كما يحتاج المتعلمون، على اختلاف إمكاناتهم وقدراتهم، إلى توجيه تربوى يناسب كل منهم، ويقابل ما بينهم فى فروق فردية. وهذا ما يشير إليه الإمام الغزالى بقوله: «أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، فلا يلقى إليه مالا يبلغ عقله، فينفره أو يخبط عليه عقله». اقتداءً فى ذلك بقول المربى الأعظم ﷺ:

(نحن معاشر الأنبياء، أمرنا أن ننزل الناس منازلهم، ونكلمهم على قدر عقولهم)[٢٧].

فكل متعلم ليُنزل منزلته ويوضع فى المكان المناسب له، فيستفيد ويفيد، يخاطب على قدر عقله، ويعلم التعليم الذى يناسبه، ويوجه إلى المقررات التى تناسبه، وإلى نوع الدراسة أو التخصص أو المدرسة أو الكلية التى تناسب إمكاناته العقلية والجسمية من جهة، وميوله وطموحاته من جهة أخرى؛ إذ ليس من الحكمة والإنصاف أن يُنزل الأذكياء منزلة الأغبياء، أو يخاطب الأغبياء وضعاف العقول بلغة الأذكياء. أو يوضع من يؤهلهم إمكاناتهم للتعليم المهنى فى التعليم الأكاديمى، أو العكس بالعكس، أو أن تحرم المرأة من تعليم يناسب فطرتها وطبيعة جنسها ومتطلبات حياتها ـ كزوجة وأم وربة بيت وعاملة.

ويتعدى التوجيه التربوى توجيه المتعلمين فى الظروف العادية إلى حيث توجيههم وإرشادهم حينما يواجهون بمشكلات تعليمية أو تربوية، يحتاجون فى تخطيطها إلى عون ومساعدة من الآخرين، وفى مقدمتهم المرشدون والمعلمون. والإسلام يأمر بذلك، موضحًا بأن الله فى عون العبد (والمعلم والمرشد عبد يمكنه المساعدة) ماكان العبد فى عون أخيه (والطالب بحاجة إلى العون والمساعدة من أخيه المعلم أو المرشد)، فيعينه على تخطى مشكلات، مثل: التأخر الدراسى، أو التغيب أو التسرب والرسوب، أو غير ذلك من مشكلات تربوية.

ثانيًا: التوجيه المهنى:

والتوجيه المهنى هو «مساعدة التلميذ أو الطالب أو الخريج أو العامل.. أو غيرهم على تعرف عالم الوظائف والمهن، ومساعدة كل منهم على فهم قدرته ومميزاتها وقصورها، وتعريفه بالأجور والقوى العاملة والتخطيط، ظروف العمل والعمالة، ومتطلبات العمل والتدريب والتنظيم والادارة والمتابعة، وكذلك تعرف القدرات والميول المتطلبة للنجاح فى مهنة معينة»[٢٨].

ويحتاج عالم المهن اليوم ـ أكثر من ذى قبل ـ إلى توجيه مهنى، لما يشهده

عصرنا الحالى من تقدم علمى هائل مصحوبًا بآخر تكنولوجى، سواء كان هذا التوجيه، توجيهًا مسبقًا قبل الدخول فى المهنة، أو كان خلال العمل بالمهنة وممارستها.

فيحتاج الطلاب إلى ذلك التوجيه المهنى المسبق، خلال فترة إعدادهم، ليختاروا ما يناسبهم ويناسب إمكاناتهم واستعداداتهم من مهن وأعمال؛ ضمانًا لوضع الإنسان المناسب فى المكان المناسب.

وقد فطن علماؤنا المسلمون الأوائل لذلك منذ عدة قرون، فطالبوا بضرورة مراعاة ميول المتعلم وإمكاناته واستعداداته عند إرشاده إلى المهنة، التى يختارها فى مستقبل حياته. فنادى ابن سينا بذلك قائلاً: «ليس كل صناعة يرومها الصبى ممكنة له مواتية، ولكن ما شاكل طبعه وناسبه. ولذلك ينبغى لمدبر الصبى (أى معلمه) إذا رام اختيار صناعة، أو يزن أولاً طبع الصبى، ويسبر قريحته، ويختبر ذكاءه، فيختار له الصناعات بحسب ذلك»(٢٩).

كما قال فى ذلك الزرنوجى: «إن على المعلم أن يشخص طبيعة الطفل المبتدئ ومستوى ذكائه، ويعلمه على مقدار وسعه من العلوم الضرورية فى الحياة، كالقراءة والكتابة والحساب، ثم يتجه به إلى العلم أو الحرفة حسب استعداداته وتكوينه»(٣٠).

وهكذا، فإنه يتحتم أن يوجه كل طالب (على ضوء قدراته وميوله وإمكاناته) إلى نوع التعليم الذى يعده للمهنة المناسبة، فالتوجيه المهنى بحاجة إلى توجيه تربوى يسبقه. فمن يناسبه التعليم الفنى، وجه إلى هذا النوع من التعليم، ليعد من خلاله فى المهنة التى تناسبه ـ زراعية أو صناعية أو غيرها ـ ومن يناسبه التعليم الأكاديمى، وجه إليه إلى إحدى تخصصاته، ليتهيأ للعمل والوظيفة المناسبة له. وكذا الإناث والمعوقين، بحاجة إلى توجيه مهنى ليوضعوا فيما يناسبهم من أعمال، وليعدوا لما ينتظرهم من أدوار.

ثالثا: التوجيه الاجتماعى:

يحتاج المتعلمون إلى توجيه اجتماعى، يشمل جوانب الحياة الاجتماعية نفسها. كتعريفهم آداب الحياة والتأدب بها، وكيفية التعامل مع الآخرين (فى الأسرة والمجتمع)، واحترام ملكيات الآخرين والملكيات العامة، وكذا توجيههم إلى الحياة الزواجية السعيدة.

فمن حيث الآداب العامة، فحتى يتكيف المتعلمون مع مجتمعهم الذى يعيشون فيه، هم بحاجة إلى التأدب بآدابه، والسير وفق مقتضيات الحياة فيه.. من مأكل أو مشرب أو ملبس أو غير ذلك.

وقد جاء ديننا الإسلامى بما يكفل الحياة الاجتماعية المتكيفة لكل من استرشد بإرشاداته وتأدب بآدابه؛ لذا يجد المتعلمون توجيهًا إلى التغذى بكل ما أحله الله من طيبات، وترك كل ما حرمه من خبائث. كالبعد عن أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، أو تعاطى الخمور أو المسكرات أو المخدرات امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ١٧٣]. وقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [المائدة: ٩٠].

ويجدون توجيهًا إلى الملبس المناسب، والظهور بالمظهر اللائق، حيث ارتداء زى الحشمة والوقار، والبعد عن الاختيال والمباهاة والتبرج والسفور.

وفيما يتعلق بحسن تعامل المتعلم مع الآخرين، يوجهه الاسلام إلى التحلى بآداب الحديث ومخاطبة الآخرين بكل احترام وتقدير، داخل الأسرة وخارجها. ويعامل والديه معاملة حسنة، بالإحسان إليهما وعدم عقوقهما، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾

[الإسراء: ٢٣-٢٤]. كما قال رسول الله ﷺ: (ألا أنبئكم (وفى رواية أحدثكم) بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، . . .)[٣١].

كما يوجهنا الإسلام إلى عدم التعدى على حقوق الآخرين وملكياتهم. فالمؤمن أخ المؤمن، لا يظلمه ولا يخذله، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. ويوجهنا إلى كل ما يقوى الروابط الاجتماعية ويوثق عراها؛ حيث التعاون على البر والتقوى، والبعد عن كل إثم وعدوان، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢].

ويجد المتعلمون فى الإسلام خير مرشد قبل الزواج وبعده. ويتم ذلك «ضمن عملية التربية والتنشئة الاجتماعية بصفة عامة، فيعرف الأطفال ما يناسب أعمارهم واستفساراتهم عن الحياة الزواجية، ويعرف الشباب كل ما يجب معرفته من حقائق الحياة الزواجية ومطالبها وأصول عملية اختيار الزوج، وأصول المعاملة الزواجية»[٣٢]، ليهيأ لحياة زواجية سليمة.

رابعًا: التوجيه الأخلاقى:

إن فى مقدمة ماتعنى به التربية، تربية الخلق، وفى مقدمة مايعنى به التوجيه، هو التوجيه الأخلاقى؛ إذ إن الإنسان ذا الخلق يسلك مسالك الخير مع نفسه ومع الآخرين، ويأبى على نفسه التردى فى الرذيلة وإيذاء الآخرين. فالأخلاق هى الدعامة الأساسية لبناء إنسان خيّر ومثمر، كما أنها الدعامة الأساسية لبناء مجتمع آمن ومتقدم، وفى ذلك يقول الشاعر أحمد شوقى:

إنما الأمم الأخــلاق ما بقيــت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويقول:

كذا الناس بالأخلاق يبقى صلاحهم ويذهب عنهم أمرهـم حـين تذهـب

والدين هو المصدر الرئيسى للقيم الأخلاقية، وهو الطريق إلى بقائها ودوامها.

تلك القيم التى تعتبر محكًا وإطارًا مرجعيًا لسلوك الفرد وسلوك الجماعة ولأسلوب حياتهما، وبيان ماينبغى أن يكون عليه التفاعل الاجتماعى السليم. وقد جاء ديننا الإسلامى حاثًا على الأخلاق الفاضلة، كما جاء الهدف الأسمى للتربية الإسلامية بتربية الخلق. فقال ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم (وفى رواية صالح) الأخلاق)[٣٣]. ذلك الرسول الكريم الذى وصفه الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

ولنا (ولكل طلاب العلم) فى كتاب الله عز وجل، وفى سنة نبيه ﷺ، خير مرشد وموجه نحو التخلق بالأخلاق الفاضلة. من خلال جملة ـ يضيق المجال لذكرها ـ من الأوامر لنأتمر بها ونعمل، وأخرى من النواهى، لنتركها ونبتعد عنها. ومن هذه الأخلاق الفاضلة على سبيل المثال:

* الصدق، فيقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].
* الأمانة، فى قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]. وقول الرسول الكريم: (أد الأمانة إلى من أئتمنك، ولاتخن من خانك)[٣٤].
* التعاون على الخير، فى قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢].
* التسابق إلى الخير، فى قوله: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨].
* حسن الحديث، فى قوله: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء: ٥٣].
* إتقان العمل، فى قوله: ﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ [الكهف: ٣٠].

* احترام الناس، فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ [الحجرات: ١١].

* إحقاق الحق، بقوله: ﴿ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٨٥].

* الإحسان، فى قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ [النحل: ٩٠].

* التواضع، فى قول المصطفى ﷺ: (مانقصت صدقة من مال، ومازاد الله رجلاً بعفو إلا عزًا، وماتواضع أحد لله إلا رفعه الله)[٣٥].

* الاصلاح بين الناس، فى قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩]، وفى قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠].

ولا يقف دور التوجيه الأخلاقى للطلاب عند حد التوعية بمختلف القيم الأخلاقية المطلوبة، بل يتعدى ذلك إلى حيث الترجمة العملية والتطبيق العملى فى سلوكيات المتعلمين، وتشجيعهم على كل سلوك محمود، وتحذيرهم من كل سلوك مذموم، وتقويم كل سلوك معوّج متى بدر منهم.

خامسًا: التوجيه الصحى:

ينال الجانب الصحى والبناء الجسمى من شخصية الفرد عناية كبيرة فى الفكر التربوى الإسلامى؛ فيوجه الفرد نحو التغذية الطيبة، ونحو النظافة والوقاية والعلاج من الأمراض، ونحو النشاط والرياضة البدنية. كل ذلك ليكون الفرد معافًا فى بدنه قويًا فى بنيته؛ إذ المؤمن القوى (قوة جسدية أو غير جسدية) خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

فمن أجل صحة جيدة وجسد قوى، يوجهنا الحق تبارك وتعالى إلى التغذى بالغذاء الطيب بقوله: ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا ﴾ [المائدة: ٨٨]،

وبقوله: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٥]. كما حذرنا وحرم علينا تناول مأكولات أو مشروبات مضرة بهذا الجسد، فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ ﴾ [البقرة: ١٧٣]. وفى قوله: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠]. كما أمرنا سبحانه وتعالى بالاعتدال فى الأكل وحذرنا من الإسراف والتبذير فيه، بقوله: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

وينال الجانب الصحى من تربيتنا الإسلامية عناية واهتمامًا كبيرين، سواء من حيث النظافة، أو الوقاية والعلاج من الأمراض؛ بحيث تعتبر النظافة جزءًا من إيمان المسلم وعقيدته، مصداقًا لقول المصطفى ﷺ: (الطهور شطر الإيمان..)[٣٦]؛ إذ «الوضوء ويسبقه الاستنجاء، يعتبر نظافة بدنية قبل الدخول فى الصلاة»، وشرط من شروط صحتها، «والسواك يعتبر نظافة للفم والأسنان. وبنفس القدر من الأهمية يهتم القرآن بغسل الجسد كاملاً فى حالات معينة»[٣٧]. كما فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾ [النساء: ٤٣].

ويتعدى مفهوم النظافة نظافة الجسد، إلى نظافة كل ما يحيط بهذا الجسد من قريب أو بعيد يؤثر على صحة الإنسان.. إلى حيث نظافة الملبس والمسكن، ونظافة الشارع والحى والبيئة والمجتمع، الذى يسكن الفرد ويتحرك فيه، ووقاية النفس من مخاطر التلوث والأمراض. وتجنب موارد الأذى والهلاك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وتتطلب التربية الصحية للفرد، توجيهه إلى النشاط وممارسة الرياضة البدنية ـ كالحركة والمشى والجرى والقفز والسباحة والمصارعة وغير ذلك من رياضات تضفى على الجسم حيويته ونشاطه. وقد قيل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه

إنه قال: «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل». بل كان حريصا على أن يضمن توصيته هذه فى كتاباته إلى كل الأمصار الإسلامية، بقوله: «علموا أولادكم السباحة والفروسية ورووهم ماسار من المثل وحسن من الشعر»[٣٨].

كما يحثنا الامام الغزالى على تعويد الطفل ممارسة التدريبات الرياضية والمشى والحركة، حتى لا يغلب عليه الكسل، وتعويده اللعب الهادف الهادئ الجميل، ليكون له أداة للترويح عن نفسه من تعب الدراسة، واستعادة وتجديداً لنشاطه[٣٩].

سادسًا: التوجيه والإرشاد النفسى:

التوجيه والإرشاد النفسى عملية بناءة، تهدف مساعدة الفرد لكى يفهم ذاته ويعرف خبراته، وينمى إمكاناته إلى أقصى حد مستطاع، ويحدد مشكلاته ويعمل على حلها، فى ضوء معرفته ورغبته وتعليمه وتدريبه كل ذلك ليصل إلى تحديد أهدافه وتحقيقها، وتحقيق الصحة النفسية والتوافق شخصيًا وتربويًا ومهنيًا وأسريًا وزواجيًا[٤٠].

ولاشك أن الهدف الرئيسى للتوجيه والإرشاد النفسى للطالب هو العمل معه لتحقيق ذاته، حسب حالته، سواء كان عاديًا أو متفوقًا أو ضعيف العقل أو متأخرًا دراسيًا أو معوقًا أو جانحًا. كما أن من أهم أهداف التوجيه والإرشاد النفسى تحقيق التوافق، سواء كان توافقًا شخصيًا، حيث تحقيقه للسعادة مع النفس والرضا عنها وإشباع الدوافع والحاجات المختلفة، أو كان توافقًا تربويًا، حيث مساعدة الطالب فى اختيار أنسب المواد والمناهج، وبذل أقصى جهد ممكن بما يحقق النجاح الدراسى، أو كان توافقًا مهنيًا، حيث الاختيار المناسب للمهنة والاستعداد لها والدخول فيها، أو كان توافقًا اجتماعيًا، حيث تحقيق السعادة مع الآخرين والالتزام بأخلاقيات المجتمع، وتحقيق الصحة الاجتماعية، ويدخل ضمن التوافق الاجتماعى، التوافق الأسرى والزواجى.

كما أن الهدف العام الشامل للتوجيه والإرشاد النفسى هو تحقيق الصحة

النفسية؛ فيكون فيها الفرد متوافقًا نفسيًا، ويشعر بالسعادة مع نفسه ومع الآخرين، ويكون قادرًا على مواجهة مطالب الحياة[٤١].

وهكذا نجد أن التوجيه والإرشاد النفسى الطلابى إنما يتحقق من خلال تحقيق جملة مجالات التوجيه والإرشاد الطلابى الأخرى، التربوى والاجتماعى والصحى والأخلاقى والمهنى. وبمعنى آخر.. إن مايقدمه التوجيه والإرشاد الطلابى من خدمات ومساعدات لكل طالب، إنما ينعكس على حالته النفسية، محققًا له التكيف والتوافق النفسى والصحة النفسية.

ومن ثم، إذا كان الفكر التربوى الإسلامى، يهتم كل الاهتمام بتوجيه وإرشاد الطلاب، تربويًا ومهنيًا واجتماعيًا وأخلاقيًا وصحيًا، كما رأينا بالمجالات السابقة، فإنه بالتالى يهتم وبنفس القدر بتوجيههم وإرشادهم نفسيًا؛ حيث فى التفوق العلمى للمتعلم تكيف وتوافق نفسى، وفى سلامته وصحته الجسمية تكيف وصحة نفسية، وفى توافقه الاجتماعى توافق نفسى، وفى تكيفه المهنى تحقيق للذات، وفى نموه الأخلاقى اتزان نفسى.

وقد فطن علماء التربية الإسلامية إلى أهمية وخطورة الجانب النفسى لدى الطفل المتربى واتزانه الانفعالى وصحته النفسية؛ فقدموا لذلك جملة من النصائح والارشادات للمعلمين وكل المربين ليقوا المتربين من الوقوع فى أزمات نفسية، ولتخليصهم منها حال الوقوع فيها.

فذلك الإمام الغزالى يوجه المعلم إلى حيث مراعاة مشاعر المتعلم وأحاسيسه؛ إذ يقول: «ولا تكثر القول عليه بالعتاب فى كل حين، فإنه يهوّن عليه سماع الملامة، وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه». ويقول أيضا: على المعلم «أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق، بطريق التعريض ما أمكن، ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف»[٤٢].

كما يقول الماوردى: «أن يرفق (المعلم) بالمتعلمين ولا يعنفهم ولا يحقرهم..»

وأيضًا يقول العلامة ابن خلدون فى مثل ذلك: «إن إرهاف (أى تجاوز) الحد فى التعليم مضر بالمتعلم، سيما فى أصاغر الولد، لأنه من سوء الملكة. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر، وضيق على النفس فى انبساطها، وذهب بنشاطها..»[٤٣].

وهكذا، فى ضوء هذه الآراء، وماسبقها من آراء وتوجيهات ذكرت بالمجالات الخمسة السابقة للتوجيه والإرشاد الطلابى، يتبين مدى اهتمام الفكر التربوى الإسلامى بالتوجيه والإرشاد النفسى للمتعلم، حتى يحيا حياة سوية متكيفة، مع نفسه ومع الآخرين.

توصيات بشأن توجيه وإرشاد الطلاب فى ضوء الفكر التربوى الإسلامى:

على ضوء ما تم تناوله بالفصل فيما يتعلق بأسس وبمجالات التوجيه والإرشاد الطلابى فى ضوء الفكر التربوى الإسلامى، يمكن تقديم بعض التوصيات التى يمكن وضعها أمام المسئولين ليعملوا على تطبيقها عمليًا فى واقعنا التعليمى، وهى على النحو التالى:

أولا: التوجيه والإرشاد الطلابى حاجة من حاجات الطلاب، وحق من حقوق كل طالب فهو من حق الطالب المتفوق وكذا العادى، كما أنه من حق الطالب المتخلف والطالب المشكل فالكل آدميون، والكل محترمون ومقدرون.

ثانيا: التوجيه والإرشاد الطلابى مسئولية جماعية؛ فهو مسئولية الدولة حيث توفير إمكاناته البشرية والمادية، وهو مسئولية كل مدرسة، ومسئولية المعلمين والآباء، بل ومسئولية الطلاب أنفسهم وكل من له دور فى العملية التعليمية. لذا على المدرسة ـ ممثلة فى المختصين بالتوجيه والارشاد فى المقام الأول ـ أن تنسق الجهود وتوجه العمل ليتعاون الكل فى إنجاحه؛ إذ الكل راعٍ والكل مسئول عن رعيته.

ثالثا: التوجيه والإرشاد الطلابى مستمر مع استمرارية العملية التعليمية، بداية بالتحاق الطفل بالمدرسة الابتدائية، مارًا بها وبما يليها من مراحل تعليمية أخرى، حتى إنهائه للتعليم العالى.

رابعًا: التوجيه والإرشاد الطلابى متنوع فى خدماته بما يجعله مقابلاً لما بين الطلاب من اختلافات وفروق فردية؛ إذ لا تكلف نفس فوق وسعها، ولاينقص طالب من قدره، توخيًا لوضع الإنسان المناسب فى المكان المناسب.

خامسًا: التوجيه والإرشاد الطلابى خدمة انسانية، لها دستورها الأخلاقى الذى يحكمها ويضبط العمل فيها؛ حيث الإتقان فى العمل والإخلاص فى نصح وتوجيه الطلاب وارشادهم، فالله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وحيث الأمانة والحفاظ على أسرار المتعلمين والحرص على مصالحهم، وتذليل عقباتهم وتنفيس كرباتهم، مصداقًا لقوله ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة..».

سادسًا: التوجيه والإرشاد الطلابى شامل شمول جوانب حياة الطالب كلها، متضمنًا فى ذلك حياته التعليمية والمهنية والاجتماعية والصحية والنفسية والخلقية، وإلى غير ذلك من جوانب حياته وشخصيته.. تلك الجوانب، التى يحتاج الطالب فيها توجيهًا وإرشادًا، هى على النحو التالى:

١- من حيث **التوجيه التربوى**:

يحتاج الطالب إلى هذا النوع من التوجيه منذ اليوم الأول لدخوله المدرسة؛ فيمهدُ له ويُرغبُ فى هذه الحياة المدرسية الجديدة حتى يألفها ويقدم عليها. ويحتاج إلى توجيه وترشيد لطاقاته ولأوقاته ولاستثمارها فى حياته التعليمية أمثل استثمار. ويحتاج إلى توجيه لاختيار المقررات الدراسية والفروع والتخصصات العلمية المناسبة لقدراته واستعداداته، من ناحية، ولميوله واهتماماته، من ناحية ثانية، كما يحتاج إلى توجيه ومساعدة لتخطى أية مشكلات تواجهه فى حياته التعليمية.

٢- من حيث **التوجيه المهنى**:

يحتاج الطلاب إلى توجيه مهنى مسبق، يتعرفون من خلاله على عالم الوظائف والمهن، وظروف العمل ومتطلباته بكل مهنة، بل والطريق أو الطرق

المؤدية لهذه المهنة. وهو يحتاج بالتالى إلى تشخيص لقدراته وإمكاناته (الجسمية والعقلية..) ليختار على ضوئها التخصصات أو المدارس أو الكليات المناسبة، ويحصل على التدريبات اللازمة.

٣- من حيث التوجيه الاجتماعى:

يحتاج الطلاب إلى توجيه يشمل مختلف جوانب الحياة الاجتماعية؛ فهم بحاجة إلى توجيه نحو التأدب بآداب الحياة الاجتماعية السليمة وفق مقتضيات الاسلام ـ من مأكل ومشرب وملبس، ومن تعامل مع الآخرين (فى الأسرة والمجتمع)، واحترام لملكيات الآخرين وللملكيات العامة، وكذا توجيههم إلى الحياة الزواجية السعيدة.

٤- من حيث التوجيه الأخلاقى:

يوجه الطلاب إلى كل القيم الخلقية التى حث عليها الدين الإسلامى، كالصدق والأمانة والإخلاص والتعاون، وغيرها من فضائل، كما يحذرون من كل الرذائل التى حذر ونهى عنها الإسلام، كالكذب والخيانة والسرقة والأنانية، وغيرها من رذائل. ولا يقف دور التوجيه الأخلاقى للطلاب عند حد التوعية بمختلف القيم الأخلاقية، بل يتعدى ذلك إلى حيث التطبيق العملى فى سلوكيات المتعلمين، وتشجيعهم على كل سلوك محمود، وتحذيرهم من كل سلوك مذموم، وتقويم كل سلوك معوج متى بدر منهم.

٥- من حيث التوجيه الصحى:

يوجه الطلاب إلى كل ما يحقق لهم صحة الأبدان وعافيتها؛ فيوجهون إلى التغذى بالغذاء الطيب، والبعد عن كل غذاء فاسد أو ضار، بل ويوجهون إلى آداب الأكل وكل العادات الغذائية الحسنة. ويوجهون إلى النظافة (الشخصية والبيئية)، وإلى الوقاية والعلاج من الأمراض. كما يوجهون إلى ممارسة الرياضات البدنية المناسبة.. كل ذلك ليكون الطالب معافًا فى بدنه قويًا فى بنيته، إذ المؤمن القوى (ومنها القوة الجسدية) خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

٦- من حيث التوجيه والإرشاد النفسى:

يوجه الطلاب (عمومًا)، ويرشد كل منهم (على حدة) حسب حالته؛ لما يحقق للجميع تكيفًا وانسجامًا مع أنفسهم ومع الآخرين. ويرشد كل طالب لما يحقق له ذاته، سواء كان عاديًا أو متفوقًا أو متأخرًا أو معوقًا، ولما يحقق له التوافق مع نفسه، حيث السعادة والرضا عنها، ومع دراسته ومستقبله المهنى ومع جماعته التى يعيش فيها، وعلاجه بل ووقايته من أية أمراض أو أزمات نفسية أو انفعالية، تؤثر على حياته وعلى تكيفه، ليكون قادرًا على مواجهة مطالب الحياة، وليحيا حياة سوية.

* * *

هوامش الفصل السادس

(١) أحمد على الملا: **أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوربية**، دمشق، دار الفكر، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١١٧.

(٢) عبد الغنى عبود: **فى التربية الإسلامية**، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٧٧، ص ١٤٨.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥١.

(٤) محمد شديد: **منهج القرآن فى التربية**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٦٧.

(٥) لطفى بركات أحمد، ومحمد مصطفى زيدان: **التوجيه التربوى والإرشاد النفسى فى المدرسة العربية**، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٦٨، ص ٣.

(٦) يوسف مصطفى القاضى، ولطفى محمد فطيم، ومحمود عطا حسين: **الإرشاد النفسى والتوجيه التربوى**، الرياض، دار المريخ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٢٩.

(٧) مجمع اللغة العربية: **معجم علم النفس والتربية**، جـ٢، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٨٤م، ص ٣٦.

(٨) رسمية على خليل: **الإرشاد النفسى فى مرحلة الحضانة**، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٠، ص ١٦.

(٩) لطفى بركات أحمد: **فى الفكر التربوى الإسلامى**، الرياض، دار المريخ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٩.

(١٠) المرجع السابق، ص ٣٩.

(١١) حامد عبد السلام زهران: **التوجيه والإرشاد النفسى**، القاهرة، عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٢، ص ٥٧.

(١٢) محمد شديد: مرجع سابق، ص ٦٧.

(١٣) عبد الغنى عبود: مرجع سابق، ص ص ١٥٩، ١٦٣.

(١٤) أنور الجندى: **نوابغ الفكر الإسلامى**، بيروت، دار الرائد العربى، ١٩٧٩، ص ٢١٩.

(١٥) حامد عبد السلام زهران: مرجع سابق، ص ٦٦.

(١٦) سعد جلال: **التوجيه النفسى والتربوى والمهنى**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧، ص ٥٠.

(١٧) الغزالى: **إحياء علوم الدين**، جـ١، القاهرة، دار الشعب، د.ت، ص ٩٦.

(١٨) كليمنص شحادة: وأخرون: **التربية الصحية والاجتماعية فى دور الحضانة ورياض الأطفال**، عمان، دار الفرقان، ١٩٨٦، ص ٢٤٢.

(١٩) محمد عطية الأبراشى: **التربية الإسلامية وفلاسفتها**، القاهرة، دار الفكر العربى، ط٣، ١٩٧٦، ص ٢٥١.

(٢٠) حامد عبد السلام زهران: مرجع سابق، ص ٦٢.

(٢١) الدارمى: **سنن الدارمى**، جـ١، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ص ٨٦.

(٢٢) الترمذى: **سنن الترمذى**، جـ٥، تحقيق: إبراهيم عطوة، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، ط٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٢٣٦.

(٢٣) حامد عبد السلام زهران: مرجع سابق، ص ٦٣.

(٢٤) النووى: **رياض الصالحين**، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٩٨٧، حديث ١٩٩.

(٢٥) رسمية على خليل: مرجع سابق، ص ١٥.

(٢٦) الغزالى: مرجع سابق، ص ٩٤.

(٢٧) محمد عطية الأبراشى: مرجع سابق، ص ص ٢٦، ٣٩.

(٢٨) رسمية على خليل: مرجع سابق، ص ١٥.

(٢٩) محمد عطية الأبراشى: مرجع سابق، ص ٣٥.

(٣٠) كليمنص شحادة، وآخرون: مرجع سابق، ص ٢٤٢.

(٣١) الترمذى: **سنن الترمذى**، جـ٤، ص ٣١٢.

(٣٢) حامد عبد السلام زهران: مرجع سابق، ص ٤٠١.

(٣٣) (أ) البخارى: **الأدب المفرد**، القاهرة، ط٢، ١٣٧٩هـ، حديث رقم ٢٧٣، ص ١٠٤.

(ب) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، المجلد الأول، بيروت، دار صادر، د.ت، ص ١٩٢.

(٣٤) (أ) الترمذى: **سنن الترمذى**، جـ١، ص ٢٣٨.

(ب) الدارمى: **سنن الدارمى**، جـ٢، ص ٢٦٤.

(٣٥) الترمذى: **سنن الترمذى**، جـ٤، ص ٣٧٦.

(٣٦) مسلم: **صحيح مسلم بشرح النووى**، جـ٣، بيروت، دار إحياء التراث العربى، ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٩٩.

(٣٧) على خليل أبو العينين: **فلسفة التربية الإسلامية فى القرآن الكريم**، القاهرة، دار الفكر العربى، ط٢، ١٩٨٥، ص ١٦٤.

(٣٨) عباس محمود العقاد: **عبقرية عمر**، عرض وتحليل ونقد أساتذة متخصصين، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م، ص ١٤٨.

(٣٩) الغزالى: **إحياء علوم الدين**، جـ٨، القاهرة، دار الشعب، د.ت، ص ص ١٤٧٠، ١٤٧١.

(٤٠) حامد عبد السلام زهران: مرجع سابق، ص ١١.

(٤١) المرجع السابق، ص ٢١.

(٤٢) الغزالى: **إحياء علوم الدين**، جـ٨، مرجع سابق، ص ١٤٦٩.

(٤٣) أنور الجندى: مرجع سابق، ص ص ٢١٩، ٤٠١.